إلّا أنه لا يبدو في الحقيقة، ان اللجنة العربية العليا امتلكت القدرة الفعلية على تأسيس حكومة أو سلطة مستقلة على الأراضي التابعة آنذاك لسيطرة الجيوش العربية. ويظهر بالذات أن مبادرة المفتي إلى إنشاء الحكومة العربية لعموم فلسطين هي أبعد بكثير من مجرد مناورة مصرية لاعتراض المطامع الهاشمية، لتعبّر عن تصميم أكيد على توطيد نواة جنينيّة للسلطة الفلسطينية. وسرعان ما لفّ هذه الحكومة النسيان.

أما في الشرق الأوسط فقد تحركت الأمور ومن غير إبطاء[٢٢]. لقد حدث في غضون عشر سنوات انقلاب شامل في الأوضاع القائمة. واندفعت عاصفة القومية العربية وهزت جميع الأنظمة. واستلم عبد الناصر الحكم في القاهرة عام ١٩٥٢. وعبدالكريم قاسم في بغداد سنة ١٩٥٨، وزعزعت معركة السويس، في عام ١٩٥٦، أحلام إعادة السيطرة الاستعمارية الانكليزية والفرنسية. وأعطت الوحدة الاندماجية بين مصر وسوريا انطباعاً بأن «الوحدة العربية» أضحت قريبة.

وكان لهذا الاندفاع صدى هائل لدى الجماهير الفلسطينية. وكانت هذه الجماهير، التي شلّتها أحداث عام ١٩٤٨ وحملات التهجير، قد لقيت مساندة محدودة من جانب الحكومات التقليدية كما في الأردن ولبنان[٢٣]. إلا أن الثقة في القومية العربية التقليدية تركت مكانها للانتماء الحماسي الى التيار الوحدوي الثوري، المصمم على مناهضة الامبريالية وعلى عدم الانحياز، والذي كانت الناصرية واحداً من أبرز تجلّياته؛ إن لم تكن الوحيدة.

أضيف إلى هذه العناصر، صنوف التنافس بين الأطراف العربية والمزايدات بشأن القضية الفلسطينية، وهو ما ميّز، بصورة خاصة، الصراع بين قاسم وعبدالناصر.

من هذا الوضع في مجمله انبثقت منظمة التحرير الفلسطينية التي كانت خطوة مهمة في فرض الاعتراف السياسي بالحركة الفلسطينية.

نعود، باقتضاب، إلى هذه الأحداث[٢٤] التي أدت إلى ولادة منظمة التحرير الفلسطينية في عام ١٩٦٤.

فبعد قيام الوحدة السورية ــ المصرية سنة ١٩٥٨. أطلقت «اللجنة العربية العليا» حملة لأجل إدخال فلسطين في هذه الوحدة. وكانت تلك مناورة نشطة لإطلاق القضية الفلسطينية وتحريكها، ولتحريض الرئيس عبدالناصر على أخذها على عاتقه. وقَبِل عبدالناصر الفكرة، إلا انه رفض وضعها موضع التنفيذ في انتظار حصول استفتاء حقيقي لرأي الشعب الفلسطيني من قبل اللجنة العربية العليا أو في برلمان غزة. وتأسست هيئات جديدة في غزة وغادر المفتي مصر ولجأ إلى لبنان. يقول م. كولومب، معلقاً على ذلك: انه بالنسبة لعبدالناصر «فمجمل ما كان يهمه، ليس انشاء حكومة مؤقتة من شأنها ان تصبح حكومة لدولة فلسطينية مستقلة فيما بعد... وانما الاكتفاء بايجاد هيئة فلسطينية معينة تكون، فيما بعد، الناطق باسم سياسة القاهرة».